عمارة المساجد في إقليم وادي ريغ
المسجد الجامع الكبير قصبة تقرت أنموذجا

Valley Mosque building in The Righ

The Grand Mosque in Touggourt kasbah that reads a model .

د التجاني العمودي*

جامعة الوادي – الجزائر –

lamoudi-t@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2022/02/25 تاريخ القبول 2022/04/13 تاريخ النشر 2022/05/04

ملخص: المسجد مؤسسة دينية، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو في نفس الوقت قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة و إلى جانب مساهمته في تعزيزه وحدة الجماعة لأنه فضاء للالتقاء اليومي بين أفراد المصلين بمختلف أعمارهم. كما يعتبر المسجد أول بيت أسس على التقوى يجمع المؤمنين تحت سقف واحد خاشعين أمام عظمة الخالق سبحانه وتعالى . إن الهدف من دراسة عمارة الدينية في الجنوب و في منطقة وادي ريغ خاصة هو تتبع نشأتها وتطورها وتأثرها بمختلف الأنماط المعمارية سواء في الجنوب أو الشمال، وأيضا تأصيل التصاميم والعناصر الإنشائية وكيف تأقلم السكان معها في مبانيهم الدينية تلك بالمحيط الجغرافي .

كلمات مفتاحية : العمارة الدينية، المساجد، العمارة الصحراوية، إقليم وادي ريغ ، صحراء الجزائر .

* المؤلف المراسل

Abstract :The mosque is a religious institution, a tonic of scientific and social life, and is at the same time the heart of the village in the countryside and the spirit of the neighborhood in the city, in addition to its contribution to strengthening the unity of the community because it is a space for daily meeting between members of the worshippers of different ages. The mosque is also the first house founded on piety to bring together believers under one roof, fearing in front of the greatness of the Creator .

The aim of the study of religious architecture in the south and in the Region of the Righ Valley in particular is to track its origins, development and influence in various architectural styles, both in the south and in the north, as well as to root the designs and elements of construction and how the population adapted to it in their religious buildings in the geographical surroundings.

key words: religious architecture, mosques, desert architecture, Righ Valley region, Desert of Algeria.

مقدّمة:

كان أول عمل قام به عندما هاجر النبي –عليه الصلاة والسلام– إلى المدينة المنورة، هو بناء مسجده النبوي الشريف فكان أول أسس المجتمع المسلم ،يضعها النبي – عليه الصلاة والسلام – لبناء دعائم المجتمع ، وتأسيس الدولة الإسلامية ،ظاهريا عمارة المساجد كانت تلبية لحاجة دينية وهي إقامة شعائر الصلاة جماعة، وهي الركن الثالث في الإسلام ،وقد أمر الله عز وجل بها في أكثر من موضع في كتابه الكريم قال تعالى ((..فأقيموا الصلواة إن الصلواة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ...))[1] و تبعا لهذا الأمر كان الأمر الإلهي بتأسيس المساجد و الاعتناء بها،فقال الله تعالى في سورة التوبة((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ))[2] وقال :((..في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال ...)).[3]

المدلول اللغوي لكلمة مسجد :

سجد الرجل بمعني إنحنى و تطامن إلى الأرض،و سجد البعير أي خف رأسه عند الركوب[4] ويقال مسجِد بكسر الجيم، اسم مكان مشتق من مصدره السجود وهو بمعنى مكان وضع الجبهة في عبادة الصلاة،[5] لأن السجود أهم أركان الصلاة وأشرفها، يقرب المرء إلى ربه أكثر من أفعال الصلاة الأخرى، ولهذا اتخذ اسم المكان من الفعل وأطلق على محل العبادة والصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام ، وأما الجانب الوظيفي في تصميم المسجد فهو إيجاد الفراغ المناسب لعدد من المسلمين لأداء الصلاة متجهين للقبلة صوب الكعبة المشرفة ، يقيهم من المطر والحر والبرد و المسجد للصلوات العادية غير صلاة الجمعة.[6]

أما الجامع فيعني المسجد الكبير الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة ، وهو أكبر حجما من المسجد، وقد أخذ المسجد الجامع أهمية كبرى عند تأسيس الدولة الأموية في دمشق ومثّل أهمية سياسية كبيرة للدولة، فقد أمر حكام الأقاليم بإقامة المساجد الجامعة لتكون بمثابة مساجد الدولة الرسمية يذكر فيها اسم الخليفة ويدعى له من فوق منابرها.[7] إن أول لبنة وضعت في دولة الإسلام تمثلت في بناء الرسول صلى الله عليه وسلم لمسجده في المدينة المنورة عند مربد التمر الذي بركت فيه ناقته،وكان تخطيط هذا المسجد بسيطا بما يتفق و روح الدين الإسلامي و قواعد وأسس البناء في الإسلام، وكان المسجد الأول مربع الشكل وصحنه مكشوفا لا سقف عليه، أما جوانبه الأربعة فكانت مسقوفة والقبلة في شمال المسجد، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صلى سبعة عشر شهرا متجها نحو بيت المقدس.[8]

و نظرا لمكانة هذا المسجد الكبيرة عند المسلمين ، فقد هرع الحكام والسلاطين إلى إجراء الإصلاحات والترميمات عليه باستمرار[9]فكانت عمارة المسجد النبوي المدرسة الأولى في الإسلام مستوحاة من هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

إن مساجد الإسلام الأولى كانت عبارة عن مساحات من الأرض صغيرة أو كبيرة، تنظف وتعين فيها اتجاه القبلة وقد تسور أو توضع لها مئذنة في بعض الأحيان ، وذلك لأن طبيعة المساجد تتنافى مع الضخامة والإسراف في الزينة ، لأن المسجد ينبغي أن يكون بسيطا مثل بساطة الإسلام و صفائه.[10]

استمر بعد ذلك تخطيط المساجد، فتطور شكلها من المربع المكشوف إلى المستطيل البسيط إلى أن ألحق بها صحن مكشوف تحيط به أروقة، ثم جاءت المساجد التي سقفت بيوت الصلاة فيها بقباب خاصة في العصر العثماني.[11]

قد أخذ المسجد في الجزائر عناية كبيرة من طرف المسلمين، حيث كان مركز إشعاع حضاري تعددت وظائفه، تؤدى فيه الصلوات وتعقد فيه الندوات إلى جانب ذلك فهو مكان تربوي وتعليمي يحافظ على التماسك الاجتماعي.كما كانت المساجد ظاهرة بارزة في المجتمع، فكان لكل مدينة مسجدها الكبير الذي يجتمع فيه السكان، فلا تكاد تجد قرية أوحيا في المدينة بدون مسجد تستدير الأبنية الأخرى حوله لتقوم فيها أعمال التجارة و الصناعة.[12]

المسجد الجامع الكبير قصبة تقرت

1- الموقع وتاريخ التأسيس:

يتوسط الجامع الكبير بتقرت القصر مقابلا للساحة العامة، هذا الجامع كان في الأصل مسجدا للإباضية خربه الأعراب في عهد سيدي محمد بن يحيى[13]، فبنى أهل البلاد قبالته المسجد المالكي الذي استحوذ عليه الاستعمار فيما بعد وبقي المسجد الاباضي خراب إلى سنة 1222هـ/1807 م عندما قام الشيخ إبراهيم الجلابي وبمساعدة السكان بإعادة بنائه .

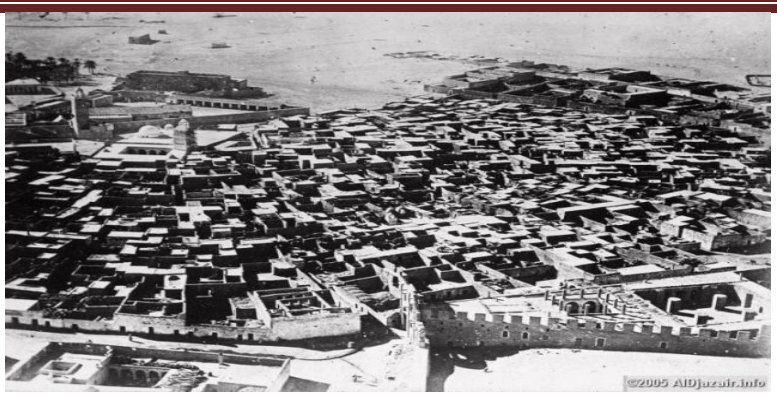

الصورة 1 : منظر المسجد الجامع يتوسط القصبة – صورة أرشيفية

ونقرأ في اللوحة الرخامية الموجودة بأعلى المدخل ما يلي :

<< بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد

كمل بناء هذا المسجد وعظم بحول الله وحسن عونه

على يد من أسس بناءه بتقوى الله ورضوانه الأمير الأسعد والأمين الأرشد

قاصدا به وجه الله الأكرم الشيخ إبراهيم بن محمد بن جلاب سنة 1220 هـ عشرين

ومائتين وبالله التوفيق>>

الصورة 2 :لوحة الكتابة التأسيسية للمسجد الجامع الكبير قصبة تقرت- عن الباحث 1990-

ليرمم فيما بعد على يد إبراهيم الثاني ابن جلاب سنة 1250 هـ /1834م[14] بحيث جلب له البناءون والصناع من مختلف المناطق المجاورة خاصة الصناع التونسيون.[15]

2- الوصف الخارجي: يتربع الجامع الكبير على مساحة 1407 مترا مربعا ، طوله (العمق) 42 مترا،وعرضه33.5 مترا. يمتاز بشكله الهندسي العام غير المنتظم ، وعدم استقامة أضلاعه.

الصورة 3 : منظر عام للجامع الكبير لقصبة تقرت – صورة أرشيفية-

يتكون من بيت للصلاة تعلوها قبة مركزية وصحن وسقيفة وغرفة للإمام ، ومخزن، و سباط ومئذنة مربعة الشكل يعلوها جوسق .يدخل إليه عبر 05 مداخل غير مباشرة .

المداخل : ففي الجامع الكبير بتقرت يفتح المدخل الرئيسي في جدار القبلة لبيت الصلاة ارتفاعه2.29 م وعرضه 1.68م يؤدي مباشرة إلى الرواق المطل على الصحن، ومدخلين ثانويين إحداهما بالجدار الغربي ارتفاعه 1.98م وعرضه 1.68م يفتح على سقيفة تؤدي إلى الجزء المخصص لصلاة النساء ومنه إلى الشارع ويتكون بابه من مرصعين، ومدخل ثان بالجدار الجنوبي كان يؤدي إلى الزقاق،أبواب هذه المداخل خشبية مزينة بزخارف هندسية مشكلة برؤوس المسامير المقببة الشكل ولكنه مع الزيادات التي تعرض لها المسجد أصبح هذا المدخل يؤدي إلى الميضأة الجديدة.

3- بيت الصلاة :

بيت الصلاة ذات الشكل المستطيل عرضها أكبر من عمقها ويتمثل في بيت الصلاة لجامع تقرت إذ يبلغ عرضه 24.95م وعمقها 23.20م، وهي بهذا شبيهة ببيوت الصلاة بكل من جامع سيدي بومدين 733 هـ/1338م، وجامع سيدي أبو مروان بعناية، وجامع ابن سهلون بور قلة، وجامع قصر المنيعة، وجامع سيدي إبراهيم بتيميمون، وهذا ما يدل على أن هذا النوع من بيوت الصلاة لم يكن حكرا على المناطق الجنوبية[16] بل عرف في مناطق أخرى من الوطن، كما يوجد ما يشبهه بإفريقيا الجنوبية، وربما تعود كثرة استعماله بالجوامع والمساجد الصحراوية إلى تأثيرات خارجية باعتبار المنطقة كانت نقطة عبور للقوافل التجارية مثلها مثل الجنوب الغربي، كما لا يستثنى اعتباره نوعا من التخطيط الذي يتلاءم وعادات المنطقة المستقاة من الدين الإسلامي بحيث يساعد هذا النوع على حشر عدد كبير من المصلين في الصف الأول لما فيه من اجر كبير .

بيت صلاة الجامع الكبير للقصبة يقوم على دعامات تأخذ شكل + متساوية رباعية الأضلاع طول كل ضلع يساوي 0.6 م ترفع أقواسا نصف دائرية الشكل تشكل البلاطات العمودية على جدار القبلة والاساكيب الموازية له، يبلغ عدد بلاطاتها 08 بلاطات ،تبلغ المسافة الفاصلة بين بلاطة وأخرى 2.6 م بما فيها البلاطة الوسطى أما الأساكيب يبلغ عددها 08 أساكيب يفصل بين أسكوب وآخر 2.20 م ،تربط بينها قطع خشبية وترفع سقفا بأقبية متقاطعة يتوسط جدار القبلة محراب .

الصورة 3 : منظر لبيت الصلاة و المحراب

هذا العنصر يعتبر من العناصر الأساسية في الجوامع والمساجد إذ يرتبط بقدسية المكان المعد للتعبد والاتصال بالله سبحانه وتعالى، فجاء ذكرها لكلمة <<محراب>> في عدة آيات قرآنية منها قوله سبحانه وتعالى ((وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا))[17]كما يقول ((وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى..))[18]ويقول أيضا:((.. فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم))[19] ويقصد بالمحراب هنا المسجد [20] كما اعتبر المحراب صدر البيت وأكرم موضع فيه[21] و قد اختلفت الروايات في تحديد أول عمل للمحراب المجوف وربما أقدم تاريخ هو ذلك الذي يعود إلى سنة 24 هـ/644م عندما قام عثمان ابن عفان بتوسيع المسجد النبوي بالمدينة المنورة[22]فعمل البناءون على إبراز المحارب كعنصر أساسي بمعظم الجوامع والمساجد بالمغرب الإسلامي دون الخروج عن الشكل التقليدي ذو التجويف النصف دائري كمحراب جامع القيروان، ومحراب الجامع الكبيربتلمسان، ومحراب جامع الزيتونة(250هـ/864م)، ومحراب الجامع الكبير بالجزائر.فمحراب الجامع الكبير بتقرت ذو تجويف نصف دائري ارتفاعه 2.70م وعرضه 2.08م وعمقه 1.30م يعلوه عقد متجاوز يكتنفه عمودان رخاميان اسطوانيان ارتفاع كل منهما 0.77 م ينتهيان بتاج مزين بعناصر نباتية تمثلت في أوراق العنب ومجموعة من الأهلة. واجهة جدار القبلة تزينها بلاطات خزفية ذات لون أزرق سماوي،تحمل زخارف نباتية وهندسية.يعلو المحراب القبة المركزية تقوم على أربع حنايا ركنية ،مزينة بزخارف جصية هندسية ،في شكل دوائر،وأطباق نجميه، في لوحات مربعة ،ونصف دائرية ، وأقواس .

الصورة 4 : الحنايا الركنية في القبة المركزية و زخرفتها الجصية — عن الباحث 2014 –

تحتوي قاعة صلاة الجامع الكبير على منبر خشبي يعد تحفة فنية مزدان بزخارف متنوعة وقبل وصفه نسلط الضوء على هذا العنصر الهام في عمارة المساجد.

يعتبر المنبر من العناصر الأساسية التي أدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد.والمنبر لغة هو مرقاد الخطيب، وسمي منبرا لارتفاعه وعلوه يقال إنتبر الأمير أي بمعنى ارتفع، فكل مرتفع منبر وكل ما رفعته قد ميزته، أما اصطلاحا فهو محل مرتفع يرتقيه الخطيب يوم الجمعة والأعياد للخطبة فكان المنبر المكان الذي يدعو منه إلى الموعظة والرشد وتبليغ تعاليم الدين الإسلامي كما كان الذي يدعو منه إلى الجهاد والتآزر والتآخي، ليكون المنبر بعد اتساع الدولة الإسلامية هنا وهناك مكان للدعوة لخليفة المسلمين فكان شق عصى الطاعة بتوقيف الدعوة له على المنابر، فالمنبر لعب ومازال يلعب دور دينيا وسياسيا عبر تاريخ الدولة الإسلامية [23] ويعد منبر جامع القيروان أقدم منبر حيث أنجز من طرف الأمير الأغلبي أبو إبراهيم أحمد سنة 248 هـ / 862 م [24] ويصنع المنبر غالبا من مادة الخشب ذات النوعية الجيدة فأبدع الفنانون وتفننوا في زخرفته سواء بزخارف نباتية أو هندسية وحتى كتابية هذه الأخيرة التي كانت في الغالب تحمل تاريخ صنعه واسم الحاكم الذي أمر بصنعه وحتى صانعه، ونظرا لاقتصار استعمال المنبر على يوم الجمعة والأعياد هيئت لها أماكن خاصة به كما وجد في الجوامع التي تفتقرلمادة الخشب منابر مبنية كجزء لا يتجزأ من المبنى وتمثلت هذه الظاهرة في منبر جامع الأغواط، وجامع عين ماضي والجامع العتيق بسيدي (ورقلة)، وجامع قصر المنيعة، الجامع العتيق بمتليلي وغيره.[25] وقد احتوى الجامع الكبير بتقرت على منبر من الخشب اتبع في تصميمه المنابر الإسلامية المعروفة كمنبر الجامع الكبير بالجزائر، ومنبر جامع القيروان وغيره. ويحمل المنبر تاريخ تحديده وهو نفس تاريخ ترميم المسجد من خلال الكتابة الموجودة بإحدى عريضته وهي كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلي الله على سيدنا محمد

حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

نصر من الله وفتح قريب

وبشر المؤمنين

لا إله إلا الله محمد رسول الله

جدد هذا المنبر الشيخ الذي اسمه إبراهيم بالجود أثنا عليه كثير الناس في كل موطن وهو ابن جلاب فبالفضل اجلبنا وجاء رضي عن طيبة النفس مخلصا قد اختار ما يبق على دنيا تفنا.[26]

وعمق هذا المنبر 2,50 م وعرض مدخله 0,75 م والذي يعلوه عقد متجاوز، أما ارتفاع المنبر 1,55 م يتم الصعود إليه عن طريق سبع درجات أبعاده 0,30 م النائمة و0,22 م القائمة و0,78 م طولا تؤدي إلى جلسة الإمام.

وتأخذ العارضتين المشكلتين لجوانب المنبر الشكل الشبه منحرف ينتهي بإطار من الزخارف النباتية كما يتوسط كل عارضة مجموعة من الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية والعمرانية،ولمنبر الجامع العتيق شبه كبير بمنبر الجامع المالكي العتيق بقصر ورقلة 626 هـ / 1391 م، والاختلاف الوحيد هو عدم وجود تجويف لمنبر تقرت ولكنه مثبت على الدعامة المجاورة له.

4 – الصحـن : وجود الصحن ظاهرة معروفة في معظم الجوامع والمساجد الإسلامية كجامع القيروان، جامع المنصورة، جامع تلمسان، مسجد سيدي بومدين وغيره.

الصحن عنصر مهم في هذه المنشآت مما يوفره من إنارة وتهوية ليت الصلاة الإضافة إلى انه المكان المفضل لأداء صلاة المغرب والعشاء صيفا، ولهذا الغرض زودت معظم هذه المساجد بمحراب الصحن ذو الشكل المستطيل عمقه اكبر من عرضه ويتمثل في صحن الجامع العتيق بتقرت عمقه 13.63م وعرضه 11.70م يتم الدخول إليه من مدخل رئيسي

ارتفاعه 2.75م وعرضه 1.65م يتكون بابه من مرصعين، وهو يؤدي مباشرة إلى رواق يتكون من ستة عقود متجاوزة ترتكز على سبعة دعامات مربعة 0.71م تلغ مقاسات هذا الرواق 13.63مx3.16م و أبعاد الثاني 11.70مx3.40م.

5 – المئذنة : اختلف الباحثون والدارسون للعمارة الإسلامية خاصة منها تحديد الأصول الأولى للمآذن بطريقة علمية بحتة، فذهب البعض منهم إلى القول بأن المئذنة مشتقة من الصوامع المربعة بالكنائس السائدة ببلاد الشام قبل الفتح الإسلامي في حين يرجعها البعض إلى منارة الإسكندرية [27]ويرى فريد الشافعي أن أقدم مئذنة جامع البصرة في عهد بن أبي سفيان سنة 45 هـ /665 م لتليها مجموعة من المآذن جامع عمر بن العاص بالفسطاط سنة 53 هـ / 673 م [28].

موقعها بالجوامع يختلف من جامع لأخر،فهي في مؤخرته كما قد تكون في مقدمته، وقد تكون في جانب منه أو في أي ركن من أركانه، كما قد تنتصب ملتصقة بالجدار الخارجي وبعيدة عن الصحن وبيت الصلاة [29]ويذكر أحمد فكري بأن المساجد الجامعة الأولى كانت تختصر على مئذنة واحدة لتظهر فيما بعد أكثر من مئذنة للمسجد الواحد، كما في جامع عمرو بن العاص الذي كان له أربعة مآذن[30] وتعتبر مئذنة جامع القيروان (53 هـ /673 م) بخصائصها العربية الإسلامية كاملة من حيث التكوين المعماري وأسلوب البناء، وليس بها شيء يمكن نسبته إلى طراز معين سابق عن الإسلام إلا عنصرا واحدا هو عقد على شكل حدوة الفرس، فكان لخصائصها العربية الإسلامية الواضحة فضلا على قلب نظرية اقتباس المآذن من مصادر سابقة للإسلام رأسا على عقب [31]لتصبح هذه المئذنة بقاعدتها المربعة وتراجع جدرانها إلى الداخل كلما ارتفعنا نموذجا احتذت به المآذن اللاحقة بالمغرب والأندلس.[32]

تأخذ مئذنة الجامع العتيق بقصبة تقرت شكلا مربعا يعلوها جوسق مربع الشكل أيضا ينتهي بقبيبة مخروطية الشكل تشغل هذه المئذنة الركن الجنوبي الغربي للصحن يفتح

مدخلها مباشرة على الرواق ارتفاعه 0.72م وعرضه 0.35م وهي ذات ارتفاع متوسط قاعدتها مربعة الشكل مثلها مثل المآذن الغربية،وتتكون المئذنة من بدن و جوسق أي من طابقين بحيث يرتفع البدن من الأعلى إلى الأسفل محتفظا بنفس الإبعاد أي دون وجود تراجع لجدرانها نحو الداخل، وينقسم بدنها بواسطة مجموعة من الآجر إلى قسمين، وهي بهذا شبيهة بمئذنة مسجد سيدي إبراهيم، والجامع الكبير بالجزائر المتأثرة بدورها بمآذن الموحدين[33] ويؤدي مدخل المئذنة مباشرة إلى دعامة مركزية صماء كما هو الحال في مآذن المغرب الأوسط، يلتف حولها سلم سقفه على شكل قبوه نصف اسطوانية، وقد يكون السلم خارج المئذنة، كما هو الحال في مالوية جامع سمراء 3هـ/9م، كما قد يكون للمئذنة درج مزدوج وهو ما انفردت به مئذنة قرطبة، و يحل مكان السلم طريق صاعد يدور حول المئذنة كما هو الحال بمئذنة جامع المنصورة بتلمسان،ويزخرف أعلى المئذنة من جهاتها الأربعة عمودين يعلوهما ثلاثة عقود متجاوزة منكسرة، ويتوسط الشرفة جوسق تعلوه قبة محمولة على أربعة عقود نصف دائرية محمولة بدورها على دعامات مربعة، ويعلو القبة سفود بارز يحمل كرة معدنية، وبين جدران الشرفة المزينة بثلاث شرفات من كل جهة و الجوسق فراغ يسمح للمؤذن بالتحرك بكل سهولة وهو مكشوف. فمئذنة الجامع العتيق بتقرت قليلة الزخرفة إذ لم نقول تكاد تكون خالية إذا ما قورنت بزخرفة مئذنة مسجد عبد الله المغراوي هذه الأخيرة التي تمتاز بكثرة زخارفها .

الصورة 5 : مئذنة الجامع الكبير قصبة تقرت – عن الباحث 2014 –

النمط المعماري لمساجد الجنوب :

تأثرت العمارة الدينية في الجنوب بعوامل مختلفة، منها العوامل الجغرافية تتعلق بطبيعة وتضاريس الأرض والمناخ و المواد الخام المتوفرة في المنطقة التي تشيد فيها الأبنية. إن السمة العامة للمناخ بمناطق الجنوب هي الجفاف و الحرارة ، يمتاز بقلة تساقط الأمطار في فصل الشتاء و الحرارة الشديدة في فصل الصيف و بدرجتها القصوى ، و من أسباب ذلك أشعة الشمس العمودية في النهار ، بحيث يكون سطح الأرض عاكسا للأشعة بسبب الرمال الساخنة والتي تزيد من الارتفاع في درجات الحرارة،و أما الرياح فتكون عبارة عن زوابع رملية على مدار السنة وتؤدي إلى الارتفاع في درجات الحرارة.[34]

وكما أسلفنا الذكر أن كل هذه العوامل لها تأثيرها على التخطيط العمراني وعلى أشكال المباني وعلى العناصر المعمارية المتمثلة في الجدران، الفتحات، والأسقف، هذه الأخيرة ظهرت مستوية. و قد روعي كذلك عند وضع النوافذ و الفتحات أن تكون ضيقة للتقليل من شدة الضوء في بيوت الصلاة، لإيجاد أفنية مضللة أمام المسجد لتلطيف الجو. والتصقت المباني ببعضها البعض لتقوية تحملها،و تسهيل المرور من مبنى إلى آخر خاصة المساجد التي يجد المصلون العناء للوصول إليها في فصل الحر.و قد اتخذ الجامع والمسجد

في الجنوب موقعا يكون في الغالب في الأزقة المحورية للقصبة، كما أن هذه المساجد تضم في العادة مدارس قرآنية. وتبقى الجوامع من المباني المميزة تتخذ مكانا محوريا داخل القصر .

أما بالنسبة للتصميم العام للمسجد في مدن الصحراء فيتخذ شكلا بسيطا لأداء وظيفة واضحة هي الصلاة، فقد جاءت بيت الصلاة عبارة عن مستطيل تمتد باتجاه الطول وضلعها الطويل موازيا للقبلة وهو بذلك شبيه بنمط الجامع الأموي بدمشق[35]، وأما الشكل المربع فكان استثناءا لضرورة إنشائية بحتة، لأن الشكل المربع الذي ظهر في بداية الإسلام كما في جامع الكوفة جاءت من الطريقة التي حدد بها حرم الجامع باستخدام "رمي الرمح" لتحديد الأركان الأربعة للجامع.[36]

وللمسجد في مناطق الصحراء مكونات رئيسية تتمثل في الوحدات التالية :

- بيت الصلاة
- الصحن الخارجي
- المئذنة
- السطح

تصميم وتخطيط المسجد والجامع في الجنوب يأخذ طابعا شبه موحد يضم مجموعة من المساجد في كل قصر أو قصبة وفي غالب الأحيان، عبارة عن مصلى خال من جميع العناصر المعمارية مثل الدعامات والأعمدة،عبارة عن قاعة صلاة عمقها أكبر من عرضها. يجب الإشارة إلى أن المئذنة لا توجد في كل مساجد و جوامع القصبة أو القصر في الجنوب وإنما ينفرد بها معلما دينيا واحدا أو اثنين على أكثر تقد ير. و قد اختلفت مساحة هذه المباني وجمالها بين الجوامع العتيقة والمساجد إذ أولي للمساجد الجامعة عناية خاصة من حيث روعة البناء والزخرفة في حين كانت المساجد بسيطة بساطة أهل الصحراء ماعدا مسجد عبد الله المغراوي الذي أولي له اهتماما مميزا تمثل في المئذنة التي

تعد تحفة تسر الناظرين،ومنها ما أشتمل على عناصر زخرفيه مميزة مثل الجامع الكبير بتقرت وقد يعود السبب إلى الرعاية المباشرة للحاكم الذي أمر ببناء الجامع كما توضحه الكتابة التأسيسية للجامع. وسندرج أكثر في الدراسة التفصيلية نماذج من مساجد وجوامع المنطقة .

تعتبر مساحة هذه الجوامع والمساجد صغيرة إذا ما قورنت بغيرها من الجوامع والمساجد المعروفة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.وقد أخذت هذه الجوامع والمساجد أشكالا مختلفة منها ذات الشكل المستطيل عرضها أكبر من عمقها مثل مسجد عبد الله المغراوي وهي شبيهة في تخطيطها بالعديد من الجوامع الإسلامية مثل جامع ندرومة 539 هـ/1145م،وجامع تلمسان 530هـ/1136م،وجامع الأغواط 885هـ/1480م ،أو مستطيلة الشكل عمقها أكبر من عرضها تمثلت في الجامع العتيق بتماسين ومسجد القبة الخضراء وهي شبيهة في ذلك بجامع قسنطينة 9هـ/ 13 م [37]وتضم هذه الجوامع والمساجد بالإضافة إلى بيت الصلاة كل من الصحن،والميضأة، وغرفة الإمام ،وغرفة لتعليم القرآن العظيم ،والجوامع ذات مساحة أكبر من المساجد ويتجلى ذلك بشكل واضح في بيت الصلاة ،كما تمتاز هذه المنشآت بأضلاعها الغير متساوية وعدم استقامتها تكاد تسود معظم مناطق الجنوب الجزائري فتتجلى في كل من جامع سيدي عقبة ببسكرة، والجامع العتيق بعين ماضي عبارة عن قاعة صلاة عمقها أكبر من عرضها، وأيضا نجد مسجدا بقصر تاجموت الذي يستمد بعض التأثيرات المرابطية من حيث تخطيطه العام واستعمال بعض العناصر المعمارية.[38]

الخاتمة : ما يمكن استنتاجه أنه لم يكن هناك اختلاف كبير في تصميمها العام بحيث نجد تشابها واضحا بين تصميم الجامع والمسجد. و من جهة أخرى فإن الخاصية التي تلاحظ على هذه المنشآت الدينية اشتراكها في صغر حجمها بالنسبة للمنشآت المشابهة لها في الشمال او في العديد من المدن الإسلامية الأخرى وقد يكون السبب الرئيس في

أنها مشيدة داخل القصبات ، ومن خصائص القصبة محاطة بسور خارجي، وتكون المباني صغيرة الحجم تلبي فقط حاجة العدد القليل من السكان الذين يسكنون داخلها. أما من ناحية التخطيط ، فإن المساجد اتبعت التصميم المناسب الذي يأخذ في الحسبان شروط ووظيفة وخصوصية هذه العمائر في الجنوب، بالإضافة إلى ذلك أنها احتوت على العناصر المعمارية الضرورية من أعمدة ودعامات وعقود دائرية ونصف دائرية ومحاريب بأشكال متنوعة .أما عن المآذن فإنها اقتصرت على عدد من المساجد الجامعة والمساجد ،كما أنها هذه المساجد تكاد تنعدم فيها أية تزيينات على الجدران.

فخلاصة القول مما سبق أن الجوامع والمساجد كانت المؤسسة الدينية الأكثر أهمية في القصر. بالرغم من بساطتها من الجانب الفني و الزخرفي،لأنها جاءت بسيطة بساطة أهل الصحراء بحيث لم تكن تبنى من قبل سلاطين أو حكام تخليدا لفترة حكمهم كما هو الحال عليه في الشمال، أين كان الحاكم أو السلطان يبنى مسجدا خاصا به ويسهر على إتقان عمارته.

الهوامش:

[1]- قرآن كريم ، سورة النساء ، الآية : 103.

[2] – قرآن كريم ، سورة التوبة ، الآية : 18.

[3] – قرآن كريم ، سورة النور ، الآية: 36 .

[4] – ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) ، لسان العرب ، مج 1 و 6، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، د. ت ، ص، 204.

[5] – محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية. ط 1،مطبعة مدبولي ، القاهرة 2000، 2000، صفحة 282.

[6] – كوشك عبد القادر، الأسس المعمارية في تصميم المسجد، المدينة العربية ، مجلة دورية العدد 39 سنة 1989، ص،53.

[7] – محمد رزق عاصم، المرجع السابق ، 2000، ص، 64.

[8] – عزب خال محمد مصطفى ، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية. سلسلة كتاب ،الأمة، العدد 58 قطر : دورية تنشرها وزارة الأوقاف، 1418هـ ، ص 48.

[9] – محمد علي أحمد رجب، المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،، 2000، ص، 11.

[10]– مؤنس حسين ، المساجد ، المجلس الوطني للثقافة،الكويت ، 1981، ص، 33.

[11] – مهنا ريف ، نظريات العمارة ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1992، ص، 71.

[12] – سعدالله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي في القرن 14 – 10هـ/ 20 – 16 م الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، 1981، ص، 246.

[13] – ابن دومة ، مذكرة أخبار تاريخية لواحة تقرت و بعض ضواحيها ،المطبعة العصرية للواحات ، الجزائر ، 1995، ص، 43.

[14]- Pein , Lettres Familiers sur l'Algérie,S.M.E,Alger 1983,p35.

[15] - شهبي عبد العزيز ، دراسة أثرية لمساجد الزاب ووادي ريغ ، جامعة الجزائر ، 1985، ص 42.

[16] – Schacht sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le Sahara .T.I.R.S 1954,p 124.

[17] - قرآن كريم، سورة آل عمران، الآية:37

[18] – قرآن كريم، سورة آل عمران، الآية: 39

[19] – قرآن كريم ، سورة مريم ، الآية : 11.

[20] -مطروح أم الخير،تطور المحراب في عمارة المغرب الأوساط،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر، 1993/ 1994، ص 77.

[21] – الزبيدي (محب الدين)، تاج العروس، الجزء الأول ،ط 1، المطبعة الخيرية مصر ، 1888، ص 207.

[22] – ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)،تحفة الأنظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار،ج 1 القاهرة، 1938، ص 77.

[23] – ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،ج 1، دار الثقافة بيروت،1950،ص 112.

[24] – Colvin, la mosquée ses origines se morphologie ses diverses son rôle dans la vie musulmane plus spécialement en Afrique du nord , S.M.E Alger, 1960, p 278.

[25] - Schacht,Op.cit ,p33.

[26]- Schacht,Ibid, p 33.

[27] - عكاشة (ثروت) ،القيم الجمالي في العمارة الإسلامية ،القاهرة ، د. ت. ، ص، 121.

[28] – الشافعي حسن . فن العمارة في مصر .القاهرة.، 1989،ص 637.

[29] – سالم عبد العزيز ، المآذن المصرية :نظرة عامة عن أصولها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني، القاهرة ، 1959، ص 59.

[30] – فكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الفاطمي ج 1، مصر ، 1965، ص، 88.

[31] – الشافعي حسن، المرجع السابق، ص 637 .

[32] – فكري أحمد، المرجع السابق،ص، 167 .

[33] - Bourouiba, les Inscriptions des Mosquées d'Algérie O.P.U, Alger,1984,p 157.

[34] – حملاوي علي ، منهجية البحث حول القصور الصحراوية ، وزارة الثقافة ، الجزائر، 2008،ص 57.

[35] – الزبيدي (محب الدين) ، تاج العروس، الجزء الأول ،ط 1، المطبعة الخيرية مصر، 1982، ص، 27.

[36] – مهنا ريف ، نظريات العمارة ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1992، ص 70.

[37] – حضري يمينة ، قصري تقرت و تماسين خلال حكم بني جلاب ، الجزائر رسالة لنيل شهادة الماجستير،جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1998، ص 185.

[38] – حملاوي علي، البيئة الصحراوية وأثرها على العمران، مقال في مجلة آثار ع 7،جامعة الجزائر، 1995، ص 87.